

القصة

من الفن القصصي الحديث

حقيبة القدر

للقصصي الألماني لدنچ باور Ludvig Bauer

كان جورج شاباً هادياً الطبع فاضل الخلق ، لم يكذب بخرج من أزمة بسيطة انتابته حتى استقل القطار قاصداً بلدة صغيرة ليشتغل فيها وظيفة متواضعة . وكانت كل شيء يبدو لجورج عادياً لا خطر له ، وقد مرت سنو عمره دون أن تتخللها مغامرة ، أو يعترها حادث خطير يهز حياته التي كانت أشبه بحياة أبناء الطبقة الوسطى ، وعند ما بلغ القطار عند منتصف الليل المكان الذي يقصده جورج أخذ حقيبته من الغرفة المكتظة التي كان يجلس فيها مولياً وجهه شطر حياته الجديدة

وصل جورج الى الفندق الصغير الذي عزم على الإقامة فيه ، وعند ما ذهب إلى سريره لينام نظر إلى الحقيبة ، وسرعان ما علمته الدهشة ، فقد كانت تشبه ولاشك حقيبته ، ولكنها لم تكن هي بذاتها ، على أن جورج خشى أن يكون مخطئاً في تقديره ، فحاول أن يفتحها بالفتاح الذي لديه ، ولكن عبثاً حاول . على أنه عند ما ضاعف جهده انفتحت فجأة . وكانت أول نظرة ألقاها كافية لأن تثبت له أنه لم يكن مخطئاً . نعم كانت الحقيبة لشخص آخر .

البيان أن محطة الأذاعة المصرية إنما قصرت عن مجارة المحطات المالية الأخرى لعاملين اثنين : أولهما ضعف قوتها ، فقد جعلوها (٢٠ ليرة) والعالم العربي منتشر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، والأمة ذات اللسان المنتشر لا تكتفي بأقل من (٦٠ ليرة) ؛ وثانيهما أن موجتها ذات مقياس مشترك مع محطة الأذاعة الفرنسية لماصمة البلجيك ، وذلك ولاشك يؤثر في قوتها ويزيد من اضطرابها . وهما ملاحظتان جديران بالنظر

أما حقيبته الأصلية وما فيها من سقط المتاع وهو كل ما يملكه ، فقد كانت في ذلك الوقت تجوب الآفاق المجهولة حيث لا صاحب لها . ووجد جورج نفسه - وهو الذي لم يصادف في حياته مشاكل صعبة يحتاج لحلها - عاجزاً منذ اللحظة الأولى عن أن يجمع في ذهنه فكرتين أثناء ذعوله ودهشه . ما العمل الآن ؟ كيف يستطيع الحصول على البذلة التي يرتديها أيام الآحاد أو على زوج حذائه الثاني وسائر ملابسه ؟ كان جورج يأمل أن يجد في محتويات الحقيبة بعض المعلومات عن مالكها الحقيقي الذي قد يكون هو الآخر مستاءً من استبدال حقيبته بأخرى ، لذا تبرع جورج يبحث أثناء نفضته في الملابس المتسخة عما يده على الشخص الذي أخذ حقيبته . وشمرت تحت يديه برزمة من الأوراق ، فلما جذبها وجدها سلسلة من الخطابات والرسائل البرقية ، وأفلتت هذه الرزمة من يد جورج فانتشرت على أرض الغرفة رزمة من الأوراق المالية من كل نوع

لم يعرف جورج من هذه الأوراق الغريبة المتعددة الألوان إلا عدداً ضئيلاً . وجمع جورج الأوراق المالية واستمر في البحث ، فاكشف في قاع الحقيبة الفروشة بالورق ما يشبه وصادة متنفخة من الأوراق المالية المختلفة . ونظر جورج حوالبه وقد انتابه العجب والذهول منتظراً شخصاً يأتي إليه ليوقظه من ذلك الحلم اللذيذ الخفيف في وقت واحد . على أنه لم يأت أحد ، وبقيت الأوراق في موضعها دون أن تحتقن ، كالمكان الأمر حلاً من الأحلام . لم يكن جورج قد رأى من قبل مثل هذا القدر من المال . أخذ يمسكه ، وكان جبهه للنظام يجعله يضع كل نوع من الأوراق على حدة ، دون أن يعرف بالضبط قيمة كل منه ، على أنه بعد بضع دقائق عرف جيداً أن ما أمامه ، قدراً بالعملة الذهبية ، يتراوح بين مليون ونصف ومليونين . وكان يستطيع حينئذ أن يقول لنفسه إن محتويات حقيبته قد دفع لها ثمن أكثر من الثمن الذي تساويه . على أن هذه الفكرة لم تخبط بياله . وكل ما كان يضايقه هو فكرة الاتصال بصاحب هذه الكنوز ،

واستبدال كل من الحقيقتين بالأخرى . قال لنفسه :

— لعل من الخطابات ما يدل على اسم صاحب الحقيقة وعنوانه كان جورج شاباً ذا خلق قويم ، لذا كانت فكرة البحث في الخطابات التي لم تُكتب إليه تضايقه وتؤله . على أنه في هذا الظرف كانت الضرورة ومصصلحة كل من الطرفين تحمان عليه أن يفعل ذلك . لذا شرع يقرأ

قرأ جورج الخطابات فعرف من القراءة أشياء كثيرة لم يعرفها طول الثلاثة والعشرين عاماً التي قضاها في هذا العالم : أشياء لم تكن تخطر له ببال . لم يستطع جورج أن يفهم جيداً هذه الخطابات ، فقد شعر منذ ابتداء في قراءتها أنها ممتلئة بالمصطلحات والكلمات السرية والمصطلحات . على أنه استطاع أن يدرك أن هذه الأوراق المألوبة هي ملك أحد لصوص الفنادق ذوى النفوذ الواسع ، وكانت تتصل إليه من شركائه ومن صديقه عزيزة كل أنواع المعلومات والارشادات . ولمت أمام عيني جورج أسماء كثير من الأماكن والبلدان الأجنبية التي تمتاز برفاهتها . وفي بلدة (كان) على الخصوص استطاع ذلك اللص الخطير أن يلعب دوراً رائماً مع السامحين الأمريكيين . وفهم جورج من آخر خطاب أرسلته صديقه ذلك اللص إليه أنه يريد أن يضع حداً لقامرانه ويلجأ إلى الراحة والعزلة . فقد كان الاثنان على مكان تروة كافية . وكانا يستطيعان أن يعيشا من الآن حتى آخر العمر عيشة مدينة مريحة ، فقد كانت الحلى قد بيعت بشمن ضخم ، ولم يبق إلا قفل من الزمرد كان يمكن أن يباع بنجمين ألف فرنك لولا أنه كان من المحتم أن تنتهي عملية البيع خفية وبأسرع ما يمكن . ولذلك يبع بشمن غير مناسب . وعرف جورج أثناء قراءته أن كل شئ قد أعد وأن السعادة الأكيدة كانت تنتظر الصديقين بعد محن عديدة وأخطار لا عدد لها أمكن التغلب عليها بمهارة وشجاعة

ووضع جورج رأسه في الماء البارد . كان من اللازم أن يتخذ قراراً . فقد كان وانقاً على الأقل أن صاحب الحقيقة سوف لا يأتي إليه ليستبدل حقيقته بالأخرى لأنه لا يجب أن يقبض عليه . كان أكثر الأمور احتمالاً إذن أن يلوذ اللص هارباً بيد جورج وحذائه وملابسه التي منها عدد من القمصان الجديدة كان يجلبها جورج ويفتخر بها . وأن يقع المصعب كله على كفتي جورج وحده . فهذه الحقيقة التي لديه مجمله هو الذي اخترق الجدران والأسطح ، وهو الذي تسلح بالليل البهم والسدس في

قبضته ليدخل الفنادق الفاخرة فيحطم صناديق الجواهر الموضوعة إلى جانب أصحابها الساجدين في نومهم . على أن هذا اللص كان أيضاً بالنسبة لجورج المحسن المجهول ، فقد ترك له ثمرة حياته الاجرامية الطويلة الفعنة بالفاسقات ، فبعد أن أراد ختام هذه الحياة والفراغ من هذه المهمة وبسد أن وثق من الندور قد في القطار يستريح مجهوداً مكثوداً ، أخذ جورج حقيقته دون أن يدري . ولا بد أن ذلك اللص الخطير قد نأر في تلك اللحظة غاضباً يسخط حيناً ويقسم حيناً آخر لا يعرف إلى من يشكو ، لا عناء ذلك السارق القدير الذي خدعه وأنزع منه قاعة أعماله كلها . تلك القاعة التي ضحى من أجلها كثيراً ولاق في سبيلها الأهوال . على أن هذا السارق القدير ليس في الواقع إلا شاباً من أسرة متوسطة فاضل الخلق طاهر الذليل ، لم يكذب يقع في هذه المشكلة الخطيرة حتى أحس في عقله البسيط رعباً عظيماً وعذاباً مضمناً

وأخذ جورج قراراً سريعاً ، وقام لفورده وأغلق الحقيقة وتقدم نحو باب الغرفة متجهاً إلى مركز البوليس ليعرض مسأله : وقد أحس وهو يفعل ذلك بالهم والحسرة ، ولكنه كان يعزى نفسه كلما فكر في المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها بسبب تليفه ومساعدته في القبض على ذلك اللص الخطير . وأخذ يحسب ما سوف يناله من المال لو كانت هذه المكافأة خمسة أو ستة في المائة وجد جورج نفسه أمام دائرة البوليس ، ونظر إلى الجرس متأملاً مفكراً ، ولم يكذب يضع أصبعه على الزر حتى تبدد حلمه في الغنى والجاه . على أنه بالرغم من ذلك سوف يدخن — عندما يقبض المكافأة — نوعاً من السجائر أغلى ثمناً من النوع الذي يدخنه ، وتذكر — وهو يدق الجرس — والديه الكرمين المتوفيين ، وتذكر معها تلك الدروس القيمة التي كان يتلقاها منهما . وتذكر أيضاً تلك العبارة (إن المال المكتسب عن طريق غير شريف لا يأتي بفائدة) . وكان يقول لنفسه أيضاً : إن البوليس سوف يعثر عليه يوماً من الأيام . لقد دفعه كل ذلك إلى أن يدق الجرس بغير قوة ولا عزم ، ولكنه دق الجرس والسلام . وانتظر ... ولكن لم يجبه أحد . ودق للمرة الثانية واستمر واضعاً أصبعه على الزر ، وانبعث صوت شخص بأهم يسأله ما يريد ، طالباً منه أن يعود في اليوم التالي ، لأن دائرة البوليس لا تفتح أبوابها الليل . وسمع في ذلك الوقت صوتاً صاخباً هو صوت نافذة تقفل بسنن

عندما رجع جورج إلى الفندق بداله فجأة أن مشيئة علوية

بعض الكتب الجديدة

(الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي) للأستاذ محمد هاشم عطية

(سُهرات التونسيات) للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

(أيام بغداد) للأستاذ أمين سيد

ألف الكتاب الأول الأستاذ محمد هاشم عطية المدرس بدار العلوم، لينتفع به طلاب هذه المدرسة وطلاب كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، وقد جملة قسمين يقمان معاً في نحو أربعمائة صفحة كبيرة. ففي القسم الأول تكلم الأستاذ أولاً عن معنى كلمة الأدب ومنشئها، ثم حدد العصر الجاهلي وانتقل إلى أقوال العلماء في الأدب الجاهلي، فأورد طرفاً منها في معرض التلخيص على صلاحية هذا الأدب ليكون مرآة للحياة الجاهلية، ثم تكلم عن تاريخ الأدب والمراد منه وقائده وعلاقته بالتاريخ العام، ودرس جزيرة العرب وأصل العرب وطبقاتهم، ونشأة اللغة عامة والعربية خاصة وخصائص اللغة العربية، ومعارف العرب في الجاهلية، والنثر الجاهلي والشعر الجاهلي وخواصهما؛ ثم درس الملتقات درساً مفصلاً. وأما القسم الثاني من الكتاب فقد جملة للتراجيح بعد أن مهد له بفصل ممتع في النقد الأدبي وتاريخه وأصوله، وترجم فيه لأسماء القيس والناطقة وزهير والأعشى ولييد وطرفة وعبيد ابن الأبرص وأوس بن حجر وأمية بن أبي الصلت

فالكاتب كما ترى من وصفه حسن الترتيب حافل بالمعلومات التي لا بد منها لطالب الأدب، وهو في شكله المدرسي هذا كفيلاً بأن يفيد جمهور المثقفين من غير الطلاب؛ بيد أن هذا الشكل أو هذا الوضع المراعى فيه منهاج الدراسة قد حلل بين الأستاذ على رغم ما يبدو من متانته وضلوعه وسعة اطلاعه، وبين ما كان يتطلبه الكثير من الموضوعات من البسط والاستيعاب، ومن أمثلة تلك الموضوعات مسألة الانتحال والرواية والحياة الاجتماعية للعرب، وهما موضوعان أساسيان في مثل هذا الكتاب، وكثيراً ما يحول التقيد بالبرنامج بين المؤلف وبين ما يريد، فيجمل بحثه خاصاً أكثر منه عاماً، ويكون إلى إيراد المعلومات المتنوعة أقرب منه إلى

هي التي أرادت ألا تُسلم الحقيقة إلى دائرة البوليس. فقد فعل كل ما يستطيع حتى أنه عرض نفسه للخطر ولكن الله لم يشأ، لذا ترك جورج كل فكرة في الذهاب إلى دائرة البوليس واعتقد أنه يجب أن يكون أكثر شجاعة وجرأة. ومرة واحدة وجد نفسه عازماً على الاحتفاظ بالمال. ولم لا؟ ليس هو الذي سرقه، كما أنه ليس من الأجرام أن يأخذ الإنسان من لص خطير مالاً حصل عليه بطريقة غير شرعية. وأحس جورج دفعة واحدة بأحاسيس جديدة، واكتشف في قلبه راحة خفية كانت ولاشك نتيجة شعوره بأنه غني. وفكر جورج في كل تفاصيل حياته المستقبلية. سوف لا يرجع مطلقاً إلى منزله. كذلك من البديهي ألا يبقى أيضاً في تلك البلدة الصغيرة، فسيتاب أهلها العجب والرعب حين يرون التغيرات الكبيرة في عادته وميئته. على أن جورج لم يكن يعرف في الواقع ما سوف يفعله بكل تلك الثروة الهائلة، فهذا شيء جديد لم يتعلمه من قبل ولم يهيه نفسه له. وهو الآن يريد أن يستمد لتلك الحياة الجديدة ويتخذها أميتها بعد أن اختاره الحظ الزاهر ليمتدح بثروة ذلك اللص الخطير الذي ولد ليكون طول حياته سيء الحظ منكود الطالع

وعندما بلغ جورج المحطة ليستقل القطار فكر في ذلك المحسن المجهول دون أن تبدو عليه عاطفة الاعتراف بالجميل. بل كان يغمره سرور من يلتد يا بلام الغبير

* * *

وبعد أشهر كان جورج يسكن قصراً على ساحل الريفييرا، وكان يرتدي أنغر الملابس وآنقها، وقد أصبح الجاه عنده أسراً طبيعياً جداً. على أنه في داخل نفسه كان يشعر بالضيق. وكان كلما فكر في أمره وجد نفسه ليس أكثر سعادة من ذي قبل وفي ذلك اليوم عندما أوشكت عينه أن تمضض سمع وقع أقدام ونجمة في ردهة القصر. ما الذي يحدث؟ ليس جورج ييجات الحرية وخرج من الغرفة. لم يحدث شيء غير عادي، فقد قبض على أحد لصوص الفنادق في اللحظة التي كان يفتح فيها باب غرفة نوم جورج. ورأى جورج وجه الرجل الذي كان رجال البوليس السري والخدم يتمسكونه بقسوة ويسوقونه أمامهم. وبدأ لجورج أنه رأى ذلك الوجه. ولكن أين؟ وسرعان ما تذكر وقد ملاه الرجل: أنه الشخص الذي كان يحتل القيد المقابل له في القطار يوم وقع حادث الحقيقة الشهير، وابتسم جورج ابتسامة صفراء وألقى بنفسه ثانية على سريره، على أن نومه طول تلك الليلة كان قلقاً مضطرباً. على لامل

أجدنا أن ندفع عنا تلك الأتهامات القاسية التي توجه الى المرأة الشرقية في غير مخرج ولا استحياء ، وفي كثير من الجهل والأدواء

أما أيام بغداد فهو كما يعرفه الأستاذ المؤلف أمين سميد ، وصف شامل لهضة العراق الحديثة ولما له التاريخية ، والقارى يذكر أرا لرسالة قد قدمت إلى قارئها منذ وقت قريب كتاباً كبيراً للأستاذ المؤلف هو « الثورة العربية الكبرى » . ومن هذين الكتابين تدرك مقدار اهتمام الأستاذ أمين بالشرق العربي ومدى حماسه له . أما هذا الكتاب فيقع في نحو مائتين وخمسين صفحة ، جيد الطبع متين الورق ، وهو كسائر كتب الرحلات يجمع بين اللذة والفائدة . ولا سيما أن موضوعه العراق ، ذلك القطر الغد في تاريخه

افتحه المؤلف الفاضل بفصل في النقد في بلاد العرب ، ثم بآخر في سكة حديد فلسطين والاستعمار الصهيوني ، وبعد ذلك يتبدى رحلته في فصل عنوانه إلى بغداد ، فينتزعك من وسطك ويسير بك إلى تلك البلاد ، فإذا أنت معه على ضريح المغفور له الملك فيصل ، ثم إذا بك كأنك ترى حفلة التابين الكبرى ، فوصف الأستاذ دقيق ، والموضوع ذاته يسهولك ويحيطك بجو خيال مليء بالصور . ولقد حافظ الأستاذ على هذه الدقة في وصف جميع الأماكن التي زارها والحفلات التي حضرها ، ثم أنه لم يقتصر على الوصف وعلى إيراد ما رأى ، بل تراه يتحدثك عن بعض السائل الهامة في العراق كالعمران في بغداد والمدرسة العسكرية في الكرادة ونهضة التعليم في تلك الديار ، وما هو أهم من ذلك كمدى نفوذ الانجليز هناك ومعسكراتهم ومطاراتهم ، وأخيراً تراه يتحدثك عن الأشوريين وأحوالهم حديث من رأيهم وخبرهم بنفسه وأنا وإن لم أر العراق أحسن أنني قد استغدت من هذا الوصف ، ووقفت به على كثير من السائل التي كنت أجهلها والتي كانت تشغل ذهني ، كما أنني استمتعت به كما لو كنت أرى هاتيك الصور على الشاشة البيضاء ، أما من حيث مطابقة ما ذكر الأستاذ للواقع ومقدار إحاطته بضروب الإصلاح والتعمير في العراق ، فالأمر في ذلك متروك للقارىء العراقي ولمن زار العراق من أبناء مصر وأهل الأقطار العربية

الضيف

التحليل والاستقصاء والاستدلال ، ولا سيما في السائل العامة التي يبني عليها فهم الأدب فهماً صحيحاً ، وهذا واضح في القدم الأول من الكتاب ، أما في القسم الثاني حيث سمح المهاج للأستاذ بالتحليل والدرس الدقيق ، فقد تجلت براعته وأسالته وحسن ذوقه . فإذا نحن تقدمنا الكتاب في شككه الخالي ككتاب مدرسي لا يسعنا إلا أن نضمه في عداد الكتب المدرسية الممتازة ، كما لا يفوتنا أن نرجو الأستاذ العاضل أن يستغل علمه ومقدرته في بسط ما أجل في رسالة أخرى تنفع المتأدين عامة

أنتقل للقارىء بعد ذلك الى هذا البحث الطريف ، الذي اضطلع به الأستاذ العالم التونسي الفاضل حسن حسني عبد الوهاب ، وهو بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الاسلامي الى الزمان الحاضر

ذكر الأستاذ في مقدمة كتابه أن ما دعاه الى وضعه ما جرى من حديث بينه وبين صديق له حول الكتاب المسمى (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور) وقد أشار عليه صديقه أن يضع كتاباً في شهيرات التونسيات ، فهزته إلى هذا العمل عاطفة قوية كان تمرتها هذا الكتاب الذي أحدثك عنه . وقد تكلم فيه الأستاذ عن نابغات النساء في تونس في الدور العربي ، والدور الأغلي ، والدور العبيدي ، والدور الصنهاجي ، والدور الحفصي ، والدور التركي ، والدور الحسيني ، وترجم في هذه الأدوار جميعاً لعدد من كرائم السيدات ، مبيناً ما أثرهن وأدهن في حديث طلي وعبارة قوية . ولن تقف أهمية هذا الكتاب عند الترجمة لهؤلاء الأوانس ، بل إنك لتجد المؤلف الفاضل يربط الموضوع بالتاريخ في مهارة وكياسة ، فتجد في كل دور من هذه الأدوار التي مر ذكرها ظلاً للعصر الذي يقع فيه ، وتطالع ألواناً مختلفة من ألوان الحياة الاجتماعية ، ومألوف الماديات والتقاليد ، هذا فضلاً عما كان يبتغى المؤلف في ثنايا الكتاب من الحكمة والأدب والموعظة الحسنة ، والطرف الأدبية ، مما هو جدير بمن كان له مثل أريجته وأدبه ، وإني إذ أقدم هذا المؤلف الطريف لجمهور القراء في العالم العربي آمل أن يخذوا حذوه المؤلفون في الشرق ، فما أحوجنا في نهضتنا الحديثة الى مثل العليا في عالم المرأة ، وما